

مُلَخِّصُ الْبَحْثِ

تلج هذه الدراسة إلى الجغرافيتين العربية والغربية، من منطلق اكتشاف ما أُهمل في الموسوعة الجاحظية ومقارنتها بالنظرية البورسية، والبحث عن الفكر الأرسطي داخل مدونات الجاحظ وكذا مبادئ بورس، المشيدة على بنية منطقية رياضية، تستمد أنفاسها من التراث اليوناني وتطوراته الحديثة.

لهذا، يروم الموضوع التعريف بمدونة الباحثة "عايدة حوشي"، الموسومة: "نظام التواصل السيميولساني في كتاب الحيوان للجاحظ حسب نظرية بورس"، واستنطاق بعض من مفاهيمها عن الثقافة السيميائية وجذورها المنطقية، والتأويل اللانهائي عند كل من الجاحظ وبورس، واقتفاء آثار أرسطو داخل تضاعيف خطابيهما النقدي والفلسفي المبني على نظرية العلامة والتواصل.

الكلمات المفتاحية: العلامة؛ التواصل؛ التأويل اللانهائي؛ الموسوعة الجاحظية؛ النظرية البورسية.

ABSTRACT:

This study explores arab and western geography, from the standpoint of discovering what was neglected in al-jahdhiya 's encyclopedia, comparing it to the Peirce theory, and searching for Aristotelianism thought whithin Al-jahiz writings as well as Peirce principles, which are built on a logical mathematical structure that draws its inspiration from the greek heritage and its modern developments.

Therefore, the topic aims to introduce the blog of the researcher "Aida Haouchi" tagged: « The semiotic communication system in Al- jahiz Book of Animals according to that theory of Peirce » and to interrogate some of her concepts about semiotic culture and its logical roots, and the infinite interpretation according to both Al- jahiz and Peirce, and tracing the traces of Aristotle within multipli cations.

Their critical and philosophical discourses based ou the theory of sign and communication.

Key Words : Sing ; Communication ; Infinite interpretation ; Al-Jahiziyah Encyclopdia ; Peirce theory.

1. مقدمة:

تعدّ الثقافة العلاماتية من أهمّ المباحث المتجذرة في الفكر العربي والغربي على حدّ سواء، فلم يخلو التراث الإنساني صياغة أسئلته عن مفاهيم العلامة وطرق إنتاجها، إلى جوار التمعن في مسار سيورتها داخل الخطابات بشقيها اللغوي وغير اللغوي، وفي خضم ذلك نجد المدونات التراثية العربية مثلاً تحتفي بالفكر السيميائي وتسعى إلى اقتفاء الحضور العلاماتي، فالعرب قديماً اعتنوا بالأثر والسمة وغير ذلك من المفاهيم التي ترادف حد العلامة، وتجلّى اهتمامهم بها أيضاً من خلال مدوناتهم المعرفية فلا يمكن أن نتصفح كتاباً تراثياً إلا وألفيت انشغاله بالنظام أو مفهوم الاستدلال، أو حتى الأبعاد التأويلية في العلامة يشغل زاوية هامة منه. فبعد الانكباب على فهم النص القرآني المقدس وتفكيك رموزه، باعتباره نسقاً لغوياً دعا إلى التأمل في الكون وما يحيط به من هالات علاماتية، ولأنه اللبنة الأساسية التي ساهمت في تناسل العلوم العربية وإثراء الدرس السيميائي، تهافت كل الرواة وعلماء الأصول والنحويين وكذا النقاد والفلاسفة المسلمين على تخريج تصوراتهم الواعية بحدود العلامة وقيمتها، كونها منطلق التفكير ومعرفة العالم العياني.

ومع هذا، فإنّ البداية الفعلية للسيميائيات كمنهج يعتد به في الدراسات الإنسانية كان في حدود نهاية القرن التاسع عشر في البيئة الغربية، من خلال استلهاها لأمشاج الدراسات الفلسفية واللغوية، وقد قوّت شوكتها بعد فيض سيلانها المعرفي وتلاقحها مع العديد من العلوم، فانبثقت عنها مدارس تختلف خلفياتها الفكرية وتتماثل أحياناً في بعض المفاهيم والرؤى.

وعودتها في لباسها الجديد المحبوك بخيوط معرفية علمية استدعى استضافتها من قبل الأرضية العربية التي حفلت هي الأخرى بالتفكير العلاماتي وأضافته إلى أبحاثها المعاصرة، فنقبت عنه في المدونات التراثية للاعتراف بحداقة العقل العربي وحصافته الفكرية كونه استطاع التأسيس للفكر السيميائي إلا أنه أخفق في تطويقه بذخيرة علمية مصطلحية، إلّا أنّ بعض المشاريع الفكرية كانت مهمومة بتثمين مجهود العرب وحقنه بمصل يعيد له حيويته المفقودة، بعد أن حُفرت عليه أخايد الأبحاث المجترّة المكررة فأتهم بالعقم وأحيل إلى الرفوف المنسية.

ومن ثمة، تستضيف الدراسة مجهودات الناقدة الجزائرية عايدة حوشي وجسارتها الفكرية في التعريف بالنظرية البورسية والتعرض إلى الإقليم العربي باستدعاء طيف "أبي عثمان الجاحظ" وأجزاء كتابه "الحيوان" السبعة، في بيان منها عن تشاجر كل من العقل العربي والغربي أي بين الجاحظ وبورس انطلاقاً من تصوراتهما عن التفكير السيميائي، وقبضها على الخيوط الشفافة بين فكريّن تعارضت جذورهما المعرفية واختلفت سياقاتهما المكانية والزمانية، ومع هذا تقاربت رؤيتهما لأنظمة التواصل السيميائي.

وتعكف الباحثة على النبش تحت جلد الموسوعة الجاحظية لانتشال تحفه الفلسفية الملتحفة بالصمت والظلال.

لهذا، تستلزم هذه الدراسة الظعن بصبوة المعرفة المنقبة في زوايا كتابها الموسوم: "نظام التواصل السيميولوجي في كتاب الحيوان للجاحظ" والتعريف بالناقدة وجدية نتاجها النقدي-الفلسفي وقيمه العرفانية في المكتبة العربية عامة والجزائرية على وجه الخصوص، وذلك من خلال الإجابة عن إشكالية مفادها: ماهي أهم التصورات والأبعاد الفلسفية التي استثمرت في النظريات الجاحظية والبورسية، وإذا كانت تنهل من معين واحد ففيم تمثلت جذور اللقاء المعرفي بينهما؟ وكيف جسّد كلاهما التفكير العلاماتي ونظام التواصل؟

وبالاستعانة بنقد النقد، وفتح أفق التساؤل نهدف إلى التعريف بقلم نقدي حصيف يشغل في صمت وتستضيف مساعيه المفكرة بعقل نوراني الفكر العربي والغربي على حد سواء مفعلة لرؤيتها النقدية أمام امتحان تجربة مبنية على المنطق الرياضي وامتحان فاعليته في الدرس العربي.

2. النظرية البورسية وفلسفة العلامة:

استطاعت السيميائيات أن تشق لنفسها مساراً ترتع وتشتغل فيه مختلف العلوم باختلاف حدودها ومواضيعها، فهي لم تعد حبيسة اللسانيات الصورية أو صرامة المناطق، بل امتدت إلى دراسة تقاسيم الأنظمة الدلالية دون إغفال اللسان كونه نسقا علامتيا وواقعة اجتماعية تُحول بتعبير (هامسليف) "الكتلة الفكرية عديمة الشكل إلى وحدات مضمونية قابلة للإدراك والمعاينة"¹ فطورت نفسها لتنحو منحىً جديداً مطعماً برؤى واعية وناضجة ترصد الظاهرة الوجودية وأشكال النتائج الإنساني، باحثة في قضايا المعنى وسيرورة الدلالة (السيميوز) داخل الخطابات.

وعليه عرّف سعيد بن كراد السيميائية على أنّها "بحث في المعنى لا من حيث أصوله وجوهره، بل من حيث انبثاقه عن عمليات التنصيب المتعددة، أي بحث في أصول السيميوز (السيرورة التي تنتج وفقها الدلالات) وأنماط وجودها."²

والحديث عن معالم التصور السيميائي يحدونا للعودة إلى فترتين تاريخيتين عمدتا إلى التأسيس والتنظير لعلم السيميائيات من خلال استثمار الدرس الفلسفي المنطقي الرياضي والفينومينولوجي من جهة، وكذا جهود اللسانيات الحديثة من جهة أخرى. وقد ركزت هذه الأخيرة اهتمامها على اللسان كونه وسيلة راقية للتبليغ والتواصل. "فتحديد عناصر التدليل وميكانيزماته يمر بالضرورة عبر ما يقدمه اللسان من أشكال للتقطيع والتنسيق والتداول"³؛ أي أن نظام اللسان هو ما يسمح لنا بإدراك الماديات المجردة، فعملية الفهم تستدعي ترجمة الأفكار إلى علامات، إذ بدون الاستدلال التجريبي للأفكار تتعطل عملية الإدراك.

وقد تزامن تأسيس فرديناد دوسوسير لعلم جديد متناسل عن اللسانيات الحديثة؛ أطلق عليه تسمية السيميولوجيا، مع السعي الحثيث للفيلسوف الأمريكي الرياضي السيميائي شارل سندررس بورس لعلم وسمه السيميائيات، ولعلّ الملاحظ في جهود كلا المفكرين هو الخلفية الابستيمولوجية المتباينة بينهما. فتجربة ش.س. بورس وبخلاف اهتمامات سوسير، اتكأت تجربته السيميائية على مبادئ الواقعية، والذرائعية، والاستمرارية، التي جانبت الرؤية الأحادية أو الثنائية في الفكر الفلسفي، معتنية بالتقسيم الثلاثي سواء في التنظير للظاهراتية أو منطق السيميوطيقا، على عكس سوسير الذي متح مفاهيمه السيميولوجية من ثورة اللسانيات الحديثة وإغراءات مباحث اللسان القائمة على النظرة الفلسفية الثنائية، بينما شُحذت مفاهيم العلامة عند بورس من تمثيلات المنطق الأرسطي والرؤية الفينومينولوجية، -الفانيروسكوبيا عنده- وكذا الميكانيزمات الرياضية، لتحيط سيميائيته بكل التجربة الإنسانية.

وبالنسبة إلى بورس فإنّ التحام ثالث الواقعية، والذرائعية، والاستمرارية تجسد لديه فكرة "السينيشيزم" وفي معناها العام كما يطرحها "جيرار دولو دال" "إنّ السينيشيزم (synnéchisme) يتأسس على الفكرة القائلة إن الجواهر المتحد (la coalescence)، والمصير المستمر، والمصير الذي تحكمه قوانين، والمصير المحلي بالأفكار العامة، ليست كلها سوى مراحل في سيرورة تطور المنطق".⁴ أي في تطور نظريته السيميائية مادامت في معناها العام هي المنطق.

وبما أن الكون هو تجلي نسيج من العلامات فكل التجارب الإنسانية ينظر إليها من منطلق كونها علامة تضطلع بفعالية رمزية، ومن خلالها تتشكل لدينا معرفة بالعالم العياني، ولأنه من غير الممكن أن يفكر الإنسان دون علامات، "من منطلق أن التفكير عن طريق العلامات قمين باستكشافه عبر الوقائع البرانية، وأن هذه الوقائع هي التي تضيف المشروعية على إدراك الفكر والتعرف عليه؛ لأن ما لا يدرك لا وجود له. وعليه فإن التفكير ذو طبيعية سيميائية واقعية بالضرورة".⁵

ولكون العلامة المنبت البدئي في المباحث السيميائية، فإنّ الاشتغال عليها ظل هاجس الخطاب الفلسفي الغربي وحتى العلوم اللغوية العربية التي أصلت لحدود العلامة وهذا لارتباطها بالمعنى. بحيث تتمثل عند بورس في التحام الثالث الذي يلاحق سيرورة السيميوزيس الناشئ عن العلاقة بين الماثول والمؤول والموضوع. وفي هذا الصدد يقول أحمد يوسف: "إنّ السيميوزيس يغزو في تصور بورس فعل العلامة وعملها؛ ولهذا تحظى الوظيفة الرمزية بمنزلة خاصة في سيميائيات بورس، لأنها تحافظ على الطبيعة المنطقية العليا للنشاط السيميائي وسيروته الذي يستدعي المؤول الضامن لربط الموضوع بالعلامة".⁶

بالإضافة إلى هذا، ركزت جهود بيرس على المنطق لأنه بالنسبة إليه ليس سوى الوجه الآخر للسيميائيات، فهي لا تنفصل عنه من جهة "باعتباره القواعد الأساسية للتفكير والحصول على الدلالات

المتنوعة؛ ولا تنفصل من جهة ثانية عن الفينومينولوجيا باعتبارها منطلقاً صلباً لتحديد الإدراك وسيروراته ولحظاته".⁷

والملاحظ أنَّ المنطق البورسي هو سليل الفلسفة الأرسطية، إلاَّ أنَّه استغنى عن الكثير من المضامين الكلاسيكية التي جعلت منه أورغانوناً (آلة) مرتكناً إلى العوالم المجردة، فنظرية بورس تشتغل في حدود إنزال المنطق من أعاليه الصورية والقوانين المسلم بها، والولوج به إلى واقع يتنافذ مع ما هو معياري، ووضعي براغماتي، إذ تخدم معيارية المنطق لديه "الظواهر المعقولة للواقع. فهي في طوع حاجات الإنسان، وليست مطلوبة لذاتها"⁸

كما تناولت النظرية البورسية مباحث الفينومينولوجيا؛ لأنها أساس التحليل المنطقي والواقع الوجودي بالنسبة إلى بورس، لذلك خاض بحثه السيميائي في "ظواهر الوعي مثل: الإحساس والإدراك والانتباه والاستدلال أي يقود إلى علم النفس أو ظاهرية المعرفة. وينتمي كل هذا في رأي بورس إلى مجال السيميوطيقا".⁹

ومنه، فمعرفة إدراك العالم عند بورس تنبعث من عنصر التراتبية، وذلك من خلال تواشج مقولات الإدراك الثلاث فمن: أولانية التي تحيل إلى ثنائية عبر ثنائية، لتشكل السيرورة الظاهرية التي تتيح للإنسان فهم الذات والعالم، "ومن خلال المقولات الفينومينولوجية يمكن التعرف على العلامة باعتبارها صيغة تنظيمية للوقائع الإنسانية. فإذا كان الأول يحيل إلى ثاني عبر ثالث (النوعيات أو الاحاسيس تتجسد في وقائع عبر قانون أو قاعدة تسمح بذلك)، فإنَّ السيميائية عند بورس تشتغل وفق نفس المبدأ: مبدأ الثالثية ومبدأ الإحالة"¹⁰.

ويعدُّ الفكر البورسي أرضية خصبة ساهمت في إثراء الدراسات السيميائية الأوروبية، مع أنَّه التحف بالظلال بعيدا عن البلبلة الإعلامية، وكانت صرامة وحداقة تصوراته التي حفرت في بطانة المقولات الفلسفية، إلى جانب اهتمامه بالظاهراتية والمنطق الرياضي، وكذا علمنة التفكير الميتافيزيقي وتشديد رؤية منهجية شكيّة علمية، بمثابة ترسانة فكرية لها قيمتها المعرفية في إزاحة وهم التأمّلات الفلسفية الخالصة من جهة وتطوير أخرى من جهة ثانية.

ومع الباحثة عايدة حوشي نقف على أهمية المنجز الفلسفي النقدي لدى بورس في نظام تفكيره العلاماتي واستضافته للعقل العربي المتمثل في جهود الجاحظ في المجال السيميائي، على الرغم من اختلاف المنظومتين الفكريتين وسياقات انتمائهما، إلاَّ أنَّهما يأتلفان في كثير من المفاهيم المقعّدة في الدرس السيميولساني.

3. التعريف بالناقدة عايدة حوشي:

عايدة حوشي من النقاد الجزائريين والأقلام العربية التي تمهفو إلى تذوق المعرفة بحدودها المطلقة دون أن تستكين إلى زاوية معتمدة باسم التخصص، فالمتتبع لسيرة الناقدة سيلتمس الخلفية الفكرية المضمخة بخضاب الأطارح الفلسفية والرياضية، خاصة ما يتعلق بمفاهيم المنطق وتجلياته في الفكر الغربي والعربي، ولا تستقر الباحثة على هذه الأرضية وإنما تجوب رحلتها الفكرية تضاريس العلوم اللغوية وأنساقها التواصلية، مخترقة حدود الآخر بوعي نقدي ينفلج من صلادة تكوينها الجاد في اللغات الأجنبية، كما أنها تلتفت دوماً إلى البدايات الخام مقتفية آثار العابرين في التراث العربي حتى تستنطق ما تخفى بسرية في الحواشي التراثية العربية، لتتوج مجموعة من أعمالها اقتران العقل العربي بالغربي، فهي تكشف عن مجهودات العرب قديماً في فك طلاسم العلامة وتأويل الدلائل، ومقارنتها بما وصلت إليه الثقافة الغربية. وهذا ما شهده ميلاد كتابها الأول المعنون: "نظام التواصل السيميولساني في كتاب الحيوان للجاحظ حسب نظرية بورس".

وبما أن تخصصها الدقيق يصب في مجال التواصل السيميائي اللساني، بتدريسها له في جامعة عبد الرحمن ميرة -بجاية- قسم اللغة والأدب العربي، وكمديرة لمجلة التأويل وتحليل الخطاب، وبعدها النقدية الاصطلاحية اعتنت الباحثة بالدرس السيميائي ونشرت العديد من المباحث التي تقتفي سيرورة العلامات اللغوية وغير اللغوية، والبحث في التواصل السيميولساني، مثل منجزها الموسوم: "إشارات سيميائية" وكذا "آلفا وأوميغا مقاربات في التواصل السيميولساني"، وكلاهما تم نشرهما دولياً عن دار صفحات للنشر بدمشق.

كما تستثمر الناقدة خلفيتها اللسانية للغوص في عوالم اللسانيات الحاسوبية واقتحام حقل التطور الحاسوبي، متشربة لنظرياته وآلياته الإجرائية، وهذا ما تجلّى في منجزين يعتد بهما في دراسة اللسانيات الحاسوبية وتواشجهما مع علوم السيمياء، بعنوان: "مقالات في السيمياء والحوسبة"، "أمالى: محاضرات في المدونة اللسانية والمعالجة الآلية للنصوص".

وتسعى الأكاديمية إلى تعريف الباحث بقيمة أسرار البلاغة والكشف عن الخيوط الشفافة بين السيمياء والبلاغة والتأويل والبحث في التمثيلات الصورية للأيقون، ومن ثمة إشرافها ومناقشتها لثلة من أطاريح الدكتوراه المتباينة مواضيعها، من لسانيات الخطاب إلى تكنولوجيا اللغة، مروراً بالأدب الرقمي والتفاعلات التواصلية، بالإضافة إلى تنويع مجموعة من أبحاثها لكتب جماعية ومنشورات دولية، التفتت فيها الناقدة إلى الخطابات الروائية واستثمرت ما تناسل عن منجزات الدرس اللساني في قراءة متونها على غرار: "آليات الوظيفة الأسلوبية في رواية التفكك لرشيد بوجدر".

4. بذور صاحب المنطق في الفكر العربي والغربي:

تعد المدونة الأرسطية أرضية خصبة قوّت جذور شجرة العقل الإنساني، فتناثرت بذور مبادئها حتى في الدرس الفلسفي والنقدي المعاصر، إذ استلهمت بعض من مفاهيمها وطرحت أخرى للفحص والنقد وثور منطقها الفلسفي، لتتجاوزها نحو إبداع نظريات حديثة ظلت جذورها تمتص فيض صاحب المنطق (أرسطو) كما سمته الموسوعة الجاحظية.

ومع دراسة الباحثة عايدة حوشي الموسومة: "نظام التواصل السيميولساني في كتاب الحيوان للجاحظ حسب نظرية بورس" نلمس المنطق الفعلي لكل من التنظيرات العلمية والعملية في التأسيس لمفهوم العلامة عند كل من بورس والجاحظ والمستمدة من أنفاس الفلسفة الأرسطية، نظرا لهوس الثقافة الإنسانية منذ فتوتها بمفاهيم العلامة والدرس السيميائي.

وبعد أن حددت عايدة حوشي حدود كلاً من "النظام" و"التواصل" في ثلاثيتها المعجمية المستندة على المعجم العام والفلسفي ومن ثمة اللساني والسيميائي. واقتفائها لآثار نظرية بورس السيميائية في الحواشي الفلسفية انطلاقاً من أرسطو ثم كانط وهيغل، لتتواتر في متنها النقدي نتوءات فلسفاتهم في زوايا النظرية البورسية، من المنطق إلى البراغماتية ثم الظاهراتية. تعود الناقدة إلى طرح اللبنة الأساسية التي تشرب منها كل من العالمين نظريتهما وتصورتاهما الإجرائية عن أنماط التواصل اللغوي، بيان منها عن القيمة المعرفية التي يقدمها الدرس الأرسطي، كما أنّ الانهماك في فهم مبادئه وفك ألغام أطروحاته الفكرية لاستثمارها من قبل الفيلسوفين لا يعني مطلقاً استنساخ المدونة الأرسطية في كتاب الحيوان، وإنما استفادة الجاحظ من الدرس الفلسفي اليوناني، وحرصه على امداد فكره بتفحص وتمحص ما يخدم حاجة أمته. وفي ذلك تستعير الناقدة مقولة عباس أرحيلة بقوله عن التراث اليوناني بأنه "تعرب وتأسلم، وتمت قراءته من خلال (الثوابت)، ثوابت العقيدة الإسلامية، وما عرفتة الحضارة الإسلامية من تطورات، ولم تصدر تلك القراءة من موقف ضعف"¹¹. ولهذا ييقظ الجاحظ لقيمة العلامة وهيمتها في الدرس الفلسفي ناسباً مبادئها للمدونة الأرسطية.

وفيما يخص النظرية البورسية فهي ترى أنّها اعتصمت "بمنطق السيميوطيقا المتطور عن الفكر الأرسطي، لأنه رفض الشكل والصورية في الأدلة مهما كانت، شأنه شأن الجاحظ في التزامه بالجانب المنطقي من المنطق على سبيل الدقة العلمية"¹². ورغم استفادتهما الكبيرة من الجهاز المفاهيمي الأرسطي إلا أنه ليس بإمكاننا القول إن المنطق الأرسطي هو نفسه ما نادى به بورس أو الجاحظ.

أما بالنسبة إلى تجسيدهما للبرهان الرياضي ذي الأصول الأرسطية فقد تطرقت الناقدة إلى ذلك في دراستها بقولها: "الرياضيات التي أشار إليها الجاحظ لا يمكن أبداً أن تكون نفسها التي وردت عند بورس، لأن الجاحظ وإن أولى أهمية لهذا العنصر إلا أنه يعني بالنسبة لبورس الفكر كله، في حين تظل بالنسبة

للجاحظ إشارة عقلية وحسب أبرز من خلالها قيمة الرياضيات والمنطق¹³. وبالتالي تتقاطع لديهما بعض الرؤى والنظريات إلا أنَّ الجاحظ ينزع منزعا موسوعيا، بينما يعول بورس على الفكر الرياضي.

وفي حديثها عن المنطق الأرسطي الذي هو أساس البرهان والعرفان، يتجسد كصورة لانعكاس سيميائية بورس من جهة وللبيان عند الجاحظ من جهة أخرى، من منطلق أن هذا الأخير قد جعل من البيان مجموعة من طرائق التفكير التي تساعد على المعرفة والبرهان، وفي هذا الصدد تعبر الناقدة عايدة حوشي: "المنطق بهذا المعنى هو البيان عند الجاحظ، فمع اعترافه بصعوبة هذا العلم إلا أنه قد عنى عنده البيان أو طريقة التعبير عما في النفس من الأفكار، وعلى هذا الأساس يمكن اعتبار كتاب "البيان والتبيين" بحثاً في المنطق"¹⁴.

واستطاع الجاحظ بعد تأثره بالفلسفة أن يتفطن لأنظمة الاستدلال وكذا طريقة اشتغال عمليات الإدراك في الفكر الإنساني، لهذا تفتقت من مدوناته مفاهيمه عن التواصل كونه ظاهرة إنسانية تروم التبليغ، إذ حَفَّ خطاب البيان عنده بنظام التواصل السيميولوجي، "فمثلما بيّن بورس أنماط التواصل لسانيا، فالجاحظ كذلك شكّل لديه البيان ظاهرة اجتماعية ولغوية هامة في التواصل"¹⁵.

ومع المفاهيم تقترن عند الجاحظ بالمعالم الإشارية والأيقونية ذات الأبعاد العملية للعلامة عنده مع الفكر البورسي، إلا أن الباحثة أخرجت تصورات الجاحظ من تحت العلامة لتفتحها على تصورات سيميائية أخرى تحف خطابه الموسوعي. لهذا سيتيح السفر في مدونتها النقدية للباحث تلمس نظريات تخص التأويل العقلي عند الجاحظ ومقاربتها بالنظرية البورسية أيضا، لما تكتنزه تصوراتهما من التدلّال اللامتناهي المميز للتثليث البورسي والتأويل عند الجاحظ، فهذا الأخير قد ألبس مصطلح التأويل وجوه التفسير تارة والشرح وحتى الترجمة تارة أخرى، أي أن التأويل الجاحظي يفتح على حدود لا متناهية للتدلّال وفي الآن نفسه يقطع حدوده، نظرا لاستناد دليل التأويل إلى العقل، وفي هذه الحالة لا يتسنى التأويل لأي كان وإنما يخص الفكر المعتزلي فقط، الذي يروم اقتناص الدلالة المشيدة على بنية عقلية، "وبهذا تكون المعتزلة ذات مسار تدلالي عقلي لا غير، يهدف فيه العقل إلى تتبع دقيق للدلالة المقصودة(بالقصد)، ويوجهها بحيث يلغي لبساً حاصلاً في تأويل خاطئ أو مجانب للوقائع، فإذا كان المعتزلة هم فقط المؤولون الحقيقيون -حسب ما حدده الجاحظ- فإن ما تصل إليه المعتزلة هو الرأي الذي يفسر الدلالة الحقيقية بالقطع، وبهذا يكون المأخوذ به هو رأيها العقلي، فهو الصحيح لا غير"¹⁶.

وبالتالي، إذا كان التأويل الجاحظي يعتد بصرامة العقل في إنتاج صوره الدلالية بعد الغوص في المواضيع الغامضة المتجاوزة للخطاب المباشر، "نجد التأكيد على عقلانية الطرح التأويلي عند الرجلين سواء بورس أم الجاحظ، اللذان أكدا على قيمة العقل وأهميته في توجيه الدلائل"¹⁷.

إنَّ ما قدمته الباحثة في دراستها من اكتشاف للملامح الفلسفية والنفسية والاجتماعية في فلسفة العلامة عند بورس وتتبع خصائصها عند الجاحظ، إلى مقارنة التصورات السيميائية البورسية

بالموسوعة الجاحظية، تخلص منه إلى الحديث عن أنواع التواصل وصوره بين بورس والجاحظ، فبعد أن استجلت معالم الإبلاغ والتبليغ عنده وكذا السيمياء الحيوانية، ومن ثمة مقاربتها لمفهوم التواصل كما ورد عند الجاحظ بمعطيات التواصل البورسي، تخصص الأكاديمية محوراً في فصلها الأخير للحديث عن ما إذا كانت السيميوطيقا باعتبارها علماً للعلامات تسقط الإنسان من موضوع مقولاتها؟ فتجيب عايدة حوشي أن السيميائيات سواء في النظرية البورسية أو في كتاب "الحيوان" قد جعلت من الإنسان علامة وصانع للعلامة "لأنه يريد أن يفهم ما يمكنه تأويله"¹⁸، وتوضح الناقدة أنها "لا ترى اختلافاً بين بورس والجاحظ، فالتأويل بالعقل أساس التواصل عند كليهما، وبالتالي فلا مجال تماماً للحديث عن سيميوطيقا لا يشكل فيها الإنسان عنصراً قيمياً، لأنه من قام بوضعها كطريقة لفعله السيميوطيقي حتى يتمكن من فهم ما يحيط به من ظواهر وصور"¹⁹. لذلك يظل الإنسان هو المدرك المؤول للعلامة في عملية التواصل السيميولساني.

وهذه هي القيمة العلمية المتفردة في مؤلف الباحثة، من حفرها في اللبنة البدئية في التراث الأرسطي لتبرهن على تزود كل من العقل العربي والغربي منه، إلى شرحها المستفيض للتقارب الفكري والعملية بين كتاب الحيوان للجاحظ والنظرية البورسية، ثم تحديدها معالم العلمية والإيصالية التي وُشمت تضاعيف خطاب الجاحظ. أمّا بخصوص الحقل السيميائي الفلسفي الذي ميّز كتاب الحيوان فمعالم البيان لديه تماثل الطرح البورسي، وبالتالي انتشلت الناقدة موسوعة الحيوان الجاحظية من أبحاث ندرته في خانة الحكائيات الموسوعية، وغلّقت الأبواب عن بيان مكامن التشابه والاختلاف بين الفكر البورسي وتجربة الجاحظ في مباحث العلامة.

5. خاتمة:

ومؤدى القول، إنّ مدونة الباحثة عايدة حوشي قد استطاعت أن تظعن إلى تراث الثقافات الإنسانية بصرامة طرحها المنطقي والعلمي، الذي انهمك في تفحص خطابين فلسفيين نقديين يصعب الولوج إليهما، نظراً؛ للغة المعقدة والمصطلحات الشائكة التي اتسمت بها أعمال ش.س. بورس، أو حتى الموسوعة الجاحظية التي لم يخل طرحها من مفاهيم فلسفية منحوتة من المنطق الأرسطي.

فمن النادر الوقوف على عمل يتسم بهذه الجدية في الطرح، سواء في الأعمال العربية أو الجزائرية، لصعوبة مواجهة تجريدية مفاهيم المنطق الرياضي، "فنظرية بورس في العلامة موجهة إلى علماء الرياضيات أكثر مما كانت موجهة إلى الفلاسفة"²⁰. فالناقدة إذن تلعب على حدود ثقافتين اختلفت لغتهما وتقاربت أفكارهما، وعليه تعتبر مدونتها اختراقاً لعتبة المجتر المكرر في تذوق موسوعات الجاحظ، ولمسة متفردة أثّرت بزخمها المعرفي المكتبات العربية.

ومن بين جملة النتائج المتوصل إليها من خلال هذه الدراسة ما يلي:

-عمدت عايدة حوشي إلى الحفر في التراث الأرسطي لتوقع معالم سريان مبادئ أرسطو في نظريات الجاحظ وكذا بورس.
-تعرضت الباحثة بالبحث والتنقيب عن التشاجر بين العقل العربي والغربي، وتحديد كليهما مفاهيم العلامة وكذا التواصل، انطلاقاً من الممارسة الأرسطية التي أمدت الثقافة العلاماتية بأبعاد منطقية رياضية براغماتية.
-حددت الباحثة البنية التي ينطلق منها التأويل عند الجاحظ باتكائه على العقل ووضعه في كفة توازي التفسير والشرح والترجمة.
-اتسم التدلال اللانهائي عند الجاحظ برؤية المذهب الكلامي المعتزلي القائم على المنهجية العقلية في توجيه دلالة الخطابات وحدها، وهو ما تقارب مع النظرية البورسية الساعية لوضع حدود داخل متاهة اللانهائي.

5. الهوامش:

- ¹ السيميائيات: النشأة والموضوع، سعيد بنكراد، 2007، مجلة عالم الفكر، المجلد 35، العدد 3، ص، 20.
- ² المرجع نفسه، ص: 12.
- ³ المرجع نفسه، ص: 64.
- ⁴ السيميائيات أو نظرية العلامات، جيرار دولو دال، تر، عبد الرحمن بوعلي، 2004، دار الحوار، سوريا، ص: 23.
- ⁵ الدلالات المفتوحة، مقارنة سيميائية في فلسفة العلامة، أحمد يوسف، 2005، منشورات الاختلاف، الجزائر، ص: 118.
- ⁶ المرجع نفسه، ص: 57.
- ⁷ السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، سعيد بنكراد، 2012، دار الحوار، سورية، ص: 87.
- ⁸ الدلالات المفتوحة، أحمد يوسف، ص: 123.
- ⁹ السيميائيات الوصفة - المنطق السيميائي وجبر العلامات-، أحمد يوسف، 2005، منشورات الاختلاف، الجزائر، ص: 55.
- ¹⁰ المرجع نفسه، ص: 90.
- ¹¹ نظام التواصل السيميولوجي في كتاب الحيوان للجاحظ حسب نظرية بورس، عايدة حوشي، 2017، صفحات للدراسات والنشر، سورية، ص: 145.
- ¹² المصدر نفسه، ص: 167.
- ¹³ المصدر نفسه، ص: 185.
- ¹⁴ المصدر نفسه، ص: 162.
- ¹⁵ المصدر نفسه، ص: 394.
- ¹⁶ المصدر نفسه، ص: 286.
- ¹⁷ المصدر نفسه، ص: 296.

¹⁸ المصدر نفسه، ص: 390.

¹⁹ المصدر نفسه، ص: 390.

²⁰ السيميائيات أو نظرية العلامات، جيرار دولو دال، ص، 18.

6. قائمة المراجع:

- الدلالات المفتوحة، مقارنة سيميائية في فلسفة العلامة، أحمد يوسف، 2005، منشورات الاختلاف، الجزائر.
- السيميائيات أو نظرية العلامات، جيرار دولو دال، تر، عبد الرحمن بوعلي، 2004، دار الحوار، سوريا.
- السيميائيات الوصفة - المنطق السيميائي وجبر العلامات -، أحمد يوسف، 2005، منشورات الاختلاف، الجزائر.
- السيميائيات: النشأة والموضوع، سعيد بنكراد، 2007، مجلة عالم الفكر، المجلد 35، العدد 3.
- السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، سعيد بنكراد، 2012، دار الحوار، سورية.
- نظام التواصل السيميولساني في كتاب الحيوان للجاحظ حسب نظرية بورس، عايدة حوشي، 2017، صفحات للدراسات والنشر، سورية.